

﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ (٥٠)

❖ مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

الحديث عن
القرآن بعد
فرقان موسى
الذي يُقَرَّبُ به
الكافرون توبيخ
لهم

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ فِرْقَانَ مُوسَى ﷺ، وَكَانَ الْعَرَبُ يُقَرِّونَ بِهِ، وَيُشَاهِدُونَ إِظْهَارَ الْيَهُودِ لِلتَّمَسُّكِ بِهِ وَالْمُقَاتَلَةِ عَلَى ذَلِكَ وَالْإِغْتِيَابِ؛ حَثَّهِمْ عَلَى التَّمَسُّكِ بِالْكِتَابِ الَّذِي هُوَ أَشْرَفُ مِنْهُ، وَالَّذِي أُرْسِلَ مَعَ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَوَبَّخَهُمْ عَلَى إِنْكَارِهِمْ صِدْقَهُ فَقَالَ: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾^(١)، فَعَقَّبَ التَّعْرِيزُ بِالَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا بِكِتَابِ اللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى مُوسَى بِذِكْرِ الْمَقْصُودِ مِنْ سَوِّقِ الْكَلَامِ النَّاشِئِ عَنْهُ، وَهُوَ الْمُقَابَلَةُ بِقَوْلِهِ ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ حَثًّا لِلْمُخَاطَبِينَ مِنَ الْعَرَبِ وَتَوْبِيخًا لَهُمْ وَتَهْدِيدًا^(٢)، وَتَذْكِيرًا لِلْمُخَاطَبِينَ مِنَ الْيَهُودِ بِوُجُوبِ الْإِيمَانِ بِالْقُرْآنِ؛ لِأَنَّهُ مَنْزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مِثْلَ التَّوْرَةِ الَّتِي يُؤْمِنُونَ بِهَا^(٣).

توسيط خبر
إنزال القرآن
بين قصة موسى
وإبراهيم

لَمَّا ذَكَرَ مَا آتَى مُوسَى وَهَارُونَ ﷺ أَشَارَ إِلَى مَا آتَى مُحَمَّدًا ﷺ فَقَالَ: ﴿وَهَذَا﴾ أَيِ الْقُرْآنِ ﴿ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾ أَيِ كَثِيرَةِ مَنَافِعِهِ، غَزِيرُ خَبْرِهِ^(٤)، بَلْ أَثْبَتَ الْكُتُبَ وَأَكْثَرَهَا فَوَائِدَ، مُوسِّطًا بَيْنَ سُبْحَانِهِ بَيْنَ قِصَّةِ مُوسَى وَهَارُونَ، وَقِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ (حَاطَمِ الْأَوْثَانِ) فَكَذَلِكَ الْقُرْآنُ؛ إِذْ أزال الْأَوْثَانِ مِنَ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، بَوَصَفِهِ أَكْمَلَ كِتَابٍ لِلشَّرَائِعِ، فَلَا يَعْرِوهُ تَغْيِيرٌ وَلَا تَبْدِيلٌ^(٥)، فَقَدْ تَكْفَّلَ الْعَظِيمُ سُبْحَانَهُ بِحِفْظِهِ.

❖ شَرْحُ الْمَفْرَدَاتِ:

(١) ﴿ذِكْرٌ﴾: تَقَدَّمَ شَرْحُ مَعْنَى الذِّكْرِ وَأَصْلُهُ فِي تَفْسِيرِ الْآيَةِ

(١) الْبِقَاعِيُّ، نِظْمُ الدَّرَرِ: 432/12.

(٢) ابْنُ عَاشُورٍ، التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ: 90/17.

(٣) الطُّغَيْنِيُّ، التَّفْسِيرُ الْبَلَاغِيُّ لِلْإِسْتِفْهَامِ، ص: 369.

(٤) أَبُو حَيَّانٍ، الْبَحْرُ الْحَبِيطُ: 437/7.

(٥) أَبُو زُهْرَةَ، زُهْرَةُ التَّفَاسِيرِ: 4879/9.

(48)، وخصوص المعنى في قوله تعالى هنا: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾، أي: وهذا القرآن الذي أنزلناه على محمد ﷺ ذكرٌ لمن تذكر به، وموعظةٌ لمن اتَّعظَ به⁽¹⁾.

(2) ﴿مُنْكَرُونَ﴾: (نكر) أصلٌ يدلُّ على خلافِ المَعْرِفَةِ الَّتِي يَسْكُنُ إِلَيْهَا الْقَلْبُ، وَنَكَرَ الشَّيْءَ وَأَنْكَرَهُ: لَمْ يَقْبَلْهُ قَلْبُهُ وَلَمْ يَعْتَرِفْ بِهِ لِسَانُهُ، وَالْإِنْكَارُ: خِلَافُ الْإِعْتِرَافِ، وَالِاسْتِنْكَارُ: اسْتِفْهَامُكَ أَمْرًا تُنْكِرُهُ⁽²⁾، وَالْإِنْكَارُ: الْجُحُودُ، وَالْمُنَاكَرَةُ: الْمُحَارَبَةُ، وَالتَّنَاكُرُ: التَّجَاهُلُ، وَالْمُنْكَرُ مِنَ الْأَمْرِ: خِلَافُ الْمَعْرُوفِ، وَالتَّنْكَرَةُ إِنْكَارُكَ الشَّيْءِ، وَهُوَ تَقْيِضُ الْمَعْرِفَةِ، وَكُلُّ مَا قَبَحَهُ الشَّرْعُ وَحَرَّمَهُ وَكَرِهَهُ فَهُوَ مُنْكَرٌ⁽³⁾، ومعنى ﴿مُنْكَرُونَ﴾، أي: جاحِدُونَ أَنَّهُ مَنْزَلٌ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ مَكْذُوبُونَ بِهِ⁽⁴⁾.

❖ الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

المعنى الإجمالي في البيان الإلهي: إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ ذِكْرٌ لِمَنْ تَذَكَّرَ بِهِ، وَمَوْعِظَةٌ لِمَنْ اتَّعَظَ بِهِ، وَعَمَلٌ بِأَوْامِرِهِ وَاجْتَنَابِ نَوَاهِيهِ، كَثِيرُ الْخَيْرِ، عَظِيمُ النِّفْعِ، فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، أَنْزَلْنَاهُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ كَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ إِلَى مُوسَى وَهَارُونَ ذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ، أَفْتُنْكِرُونَ نَزُولَهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَهُوَ فِي غَايَةِ الظُّهُورِ وَالْبَيَانِ ۝٩، وَكَيْفَ تُتَكْرَمُونَ كَوْنَهُ مَنْزَلًا مِنْ عِنْدِهِ سُبْحَانَهُ مَعَ اعْتِرَافِكُمْ بِأَنَّ التَّوْرَةَ مَنْزَلَةٌ مِنْ عِنْدِهِ⁽⁵⁾.

إنزال القرآن
ليس بدعًا ولا
عجبًا إنما أمرٌ
مسبقٌ وسنةٌ
معروفةٌ

❖ الإيضاح اللغوي والبلاغي:

بلاغة الاستئناف في الآية:

(الواو) في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ

بيان إعجاز
القرآن وتوبيخ
مَنْ جَحَدَ صِدْقَهُ

(1) ابن جرير، جامع البيان: 18 / 454، والواحدي، التفسير البسيط: 15 / 100.

(2) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللغة: (نكر).

(3) ابن منظور، لسان العرب، والزبيدي، تاج العروس: (نكر).

(4) الواحدي، التفسير البسيط: 15 / 100، والبغوي، معالم التنزيل: 3 / 291، والتسفي، مدارك التنزيل: 2 / 407.

(5) ابن جرير، جامع البيان: 18 / 454.

لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ استثنائية، والجملة مستأنفة لخطاب أهل مكة ومحاورتهم حول القرآن الكريم الذي أنزل بلسانهم⁽¹⁾، وفي هذا الاستئناف - بعد ذكر شأن موسى وهارون والمدح لمن آمن وصدق وخشي الله بالغيب، وعمل للساعة واستعد لها، والتعريض بمن أعرض - بيان بأن القرآن ليس بدعاً ولا عجباً، إنما هو أمر مسبق وسنة معروفة، وتوبيخ وتقرير لمن أنكره وجحد صدقه ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾، فماذا تنكرون منه، وقد سبقت به الرسالات؟

نكتة التعبير باسم الإشارة للقريب:

في بيان قرب
القرآن من
الأفهام والانتفاع
به زيادة تقرير
وتوبيخ لمن أنكره

عبّر البيان القرآني في الإشارة إلى القرآن باسم الإشارة الدال على قرب المشار إليه في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾؛ ايذاناً بغاية وضوح أمره⁽²⁾، وإيماء إلى سهولة تناوله عليهم⁽³⁾، وقربه من الأفهام، والانتفاع به، والاهتداء بهديه⁽⁴⁾، لأن حضوره في الأذهان وفي التلاوة بمنزلة حضور ذاته⁽⁵⁾، فهو المعهود الممتاز بالبلاغة والبراعة⁽⁶⁾، فهم يسمعون تلاوته، ويتحداهم أن يأتوا بمثله فيعجزون، ويعاينون آثاره في إيمان المؤمنين⁽⁷⁾، ولأنه سبق ذكره في السياق في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أُنْذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ﴾، ومناسبة للمقام الذي يقتضيه من حيث تسميته (ذكرًا)؛ لأن ذكر الشيء يقتضي قربه، وقرب الشيء يقتضي ذكره وحضوره في الذهن، ولأن في قربه تقريراً للمخاطبين بحضوره ومثوله أمام أعينهم لاستقباح إنكارهم لشيء دان منهم، يرونه ويحققونه، وما كان شأنه ذلك فما أجهل من ينكره⁽⁸⁾.

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 325 / 6.

(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 71 / 6.

(3) البقاعي، نظم الدرر: 432 / 12.

(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 911 / 9.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 71 / 6، وابن عاشور، التحرير والتنوير: 90 / 17.

(6) القنوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البياضوي: 534 / 12.

(7) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4880 / 9.

(8) الطغني، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 372.

وفي هذا كله زيادةٌ تقريعٍ وتوبيخٍ لهم، فهم يُنكرون ما هو قريبٌ منهم بسماعِ تلاوته من النبي ﷺ، وبما يعرفونه فيه ويشاهدونه من البلاغة والبراعة، وما هو قريبٌ إلى أفهامهم، وهو سببٌ في هدايتهم وإصلاحهم بما يحمله من ذكرى وموعظةٍ، وهو سببٌ رفعةٍ شأنهم، وفي المقابل يُقرّون بما هو بعيدٌ عنهم وهي التّوراة التي لم يروها ولم يقرؤوها، وهي قد حُرِّفتْ وبُدِّلَتْ، ولن تكون سبباً في هدايتهم وإصلاحهم ورفعةٍ شأنهم.

سرّ التعبير بالذكر وتنكيره:

وصفَ البيانُ الإلهيَّ القرآنَ وعرفه في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ﴾ بأنّه ذِكْرٌ؛ لأنّ لفظَ الذِّكْرِ جامعٌ لجميعِ الأوصافِ المتقدِّمة من الفرقان والضياء والذكرى للمتقين⁽¹⁾، ولأنّه الكلام الذي شأنه أن يُذكرَ، أي يُتلى ويُكرَّر⁽²⁾، وأن يُذكرَ بالعذابِ والثواب، وفيه تذكيرٌ بالله تعالى، وإذا امتلأتِ القلوبُ به كان فيها ذكرٌ دائم، وبه تطمئنُّ القلوبُ، وتذهبُ الوسواسُ، ولا تضطربُ، ولا تفرُّجُ ولا تهلعُ ولا تجزُعُ⁽³⁾، ولأنّه شرفٌ للعربِ، ولكلِّ من يؤمنُ به⁽⁴⁾، ولمُناسبةِ المقامِ؛ إذ وُصِفَ بالوصفِ الأخيرِ للتّوراة: ﴿وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ﴾، ولموافقةِ لما مرَّ في صدرِ السُّورةِ الكريمةِ ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنبياء: 2]⁽⁵⁾.

القرآنُ ذِكْرٌ يُتلى
ويُكرَّرُ، وبه
يُتَعَزَّزُ ويُذَكَّرُ،
وبشرفه يعلو
شأنُ المؤمن
ويكبرُ

وفي هذا كلّ إحياء وإعلامٍ بأنّه ينبغي ألا يزولَ عن الخاطر، وألا يتطرَّقَ إليه نسيانٌ؛ لأنّه ذِكْرٌ من عندِ الله ولأنّه مباركٌ، فيه نعيمٌ الدُّنيا والآخرة، والجاهلُ مَنْ يحرمُ نفسه الخيرَ والبركة⁽⁶⁾،

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 90 / 17.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 163 / 14.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 4880 / 9.

(4) سيّد طنطاوي، التفسير الوسيط: 219 / 9.

(5) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 72 / 6.

(6) الطُّغَيْنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 372.

وتنكيره لإفادة التّفخيم والتّعظيم، فهو ذكرٌ عظيم⁽¹⁾، لا يُحدّ حدُّه، ولا يُقدّر قدره.

توجيه نعتِ الذّكر بلفظ ﴿مُبَارَكٌ﴾ وتنكيره:

وصف القرآن بالمبارك في قوله تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ﴾، أي: يُعمُّ نواحي الخير كلّها؛ لأنّ البركة زيادة الخير؛ فالقرآن كلّهُ خيرٌ من جهة بلاغة ألفاظه وحُسْنِها، وسُرعة حفظه وسهولة تلاوته، وهو أيضًا خيرٌ لما اشتمل عليه من أفنان الكلام، والحكمة والشريعة، واللطائف البلاغية. وهو في ذلك كلّ آية على صدق الذي جاء به؛ لأنّ البشر عجزوا عن الإتيان بمثله، وتحدّاهم النبي ﷺ بذلك فما استطاعوا، وبذلك اهتدت به أمم كثيرة في جميع الأزمان، وانتفع به من آمنوا به، فكان وصفه بأنّه مبارك وافيًا على وصف كتاب موسى ﷺ بأنّه فرقان وضياء⁽²⁾، وهو مع ذلك كتاب يُتبرك به⁽³⁾، وهو أثبت الكتب وأكثرها فوائد⁽⁴⁾.

وتنكيره لإفادة التّفخيم والتّعظيم لهذه البركة التي لا يسعها حدّ، ولا يوفيها قدر، فهي بركة كلام الله الخالدة بخلوده سبحانه، وفي هذا إعلام وإيحاء بأنّه ينبغي على العاقل أن ينتفع ببركات القرآن، وأنّ الجاهل هو الذي يحرم نفسه من الخير والبركة.

إيثار فعل (الإنزال) ماضيًا معظّمًا بالإضافة إلى الضمير:

جعل الوحي إلى الرسول ﷺ إنزالًا في قوله تعالى ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ﴾ ولم يقل: آتيناه كما ذكر ربنا في قوله عند الحديث عن موسى وهارون ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ﴾ وعند الحديث عن إبراهيم ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ﴾؛ لما يقتضيه

القرآن كثير
الخير غزير
التفيع وأثبت
الكتب وأكثرها
فوائد

إنزال القرآن من
العظيم رفعة
لقدر القرآن
وبيان لزيادته
شرفه

(1) البقاعي، نظم الدرر: 432 / 12.

(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 90 / 17.

(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 72 / 6.

(4) البقاعي، نظم الدرر: 432 / 12.

الْإِنزَالُ مِنْ رِفْعَةِ الْقَدْرِ، إِذْ عُدَّ مُسْتَقَرًّا فِي الْعَالَمِ الْعُلَوِيِّ حَتَّى أُنْزِلَ إِلَى هَذَا الْعَالَمِ، وَزَادَهُ تَشْرِيفًا بِإِسْنَادِ إِنْزَالِهِ إِلَى ضَمِيرِ الْجَلَالَةِ⁽¹⁾، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَمْيِيزٍ عَنْ بَقِيَّةِ الْكُتُبِ؛ إِذْ هُوَ خَاتَمُهَا وَالْمُهَيْمِنُ عَلَيْهَا، وَلِمَا فِيهِ مِنْ تَسْلِيَةٍ لِلرَّسُولِ ﷺ؛ إِذْ أَنْكَرَ ذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ كَمَا أَنْكَرَ أَسْلَافُ الْيَهُودِ مَا أُنْزَلَ اللَّهُ عَلَى مُوسَى ﷺ⁽²⁾.

بلاغة الاستفهام (بالهمزة) «أَفَأَنْتُمْ»:

الاستفهام في قوله تعالى: «أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ» مجازي إنكاري؛ والخطابُ لأهل مكةَ تقريعٌ لهم⁽³⁾؛ لإنكارهم القرآنَ بعدَ ظُهورِ كونِ إِنْزَالِهِ كَايْتَاءِ التَّوْرَةِ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ بَعْدَ مَلاحِظَةِ حَالِ التَّوْرَةِ مِمَّا لَا مَسَاقَ لَهُ أَصْلًا⁽⁴⁾، وَفِيهِ تَوْبِيخٌ وَتَعْجُوبٌ مِنْ إِنْكَارِهِمْ صِدْقَ هَذَا الْكِتَابِ، وَمِنْ اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْإِنْكَارِ⁽⁵⁾، أَيْ أَنْكَرَ عَلَيْهِمْ رَدَّهُ، وَوَبَّخَهُمْ فِي سِيَاقٍ دَالٌّ عَلَى أَنَّهُمْ أَقَلُّ مِنْ أَنْ يَجْتَرِئُوا عَلَى ذَلِكَ، مُنْبَهًا عَلَى أَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْمُجَاهَدَةِ فِي هَذَا الْكِتَابِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ فِي كِتَابِهِمْ؛ فَكَيْفَ تَرْتَضُونَ أَنْ تَكُونُوا أَدْنَى مِنْهُمْ مَعَ تَشْرِيفِكُمْ عَلَيْهِمْ، وَعَلَى غَيْرِهِمْ مَعَ أَنَّكُمْ لَا تُنْكِرُونَ كِتَابَهُمْ!! وَالْمُؤْمَلُ مِنْكُمْ أَنَّهُ لَوْ أَنْكَرَهُ غَيْرُكُمْ لَكَانَ يَنْبَغِي لَكُمْ مُنَاصَبَتُهُ الْعِدَاءِ، فَكَيْفَ يَكُونُ الْإِنْكَارُ مِنْكُمْ؟! وَأَنْتُمْ أَعْرَفُ النَّاسِ بِبِلَاغَتِهِ⁽⁶⁾، وَهَذَا دَلِيلٌ وَاضِحٌ عَلَى جُحُودِكُمْ لِلْحَقِّ بَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَكُمْ⁽⁷⁾، وَقَدْ يَكُونُ هَذَا الْإِنْكَارُ كَذَلِكَ لِلْيَهُودِ⁽⁸⁾، وَلَا بُدَّ مِنَ الْإِشَارَةِ إِلَى أَنَّ الْمَعَانِيَ النَّاشِئَةَ مِنَ الْإِنْكَارِ الْمَجَازِيِّ مِثْلُ: التَّقْرِيعِ

توبيخٌ
للمشركين
المنكرين وخي
القرآن لكونهم
أعرف الناس
ببلاغته

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 91 / 17.

(2) أبو حيان، البحر المحیط: 437 / 7.

(3) الصاوي، حاشيته على تفسير الجلالين، ص: 1203.

(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 72 / 6.

(5) البیضاوي، أنوار التنزيل: 53 / 4، وأبو حيان، البحر المحیط: 437 / 7، وابن عاشور، التحرير والتنوير:

91 / 17.

(6) البقاعي، نظم الدرر: 432 / 12.

(7) سيد طنطاوي، التفسير الوسيط: 219 / 9.

(8) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 911 / 9.

والتَّوْبِيخِ والتَّعَجُّبِ لا تتعارض معه، ولا ضيرَ في الجمع بينها؛ لأنَّ المقامَ يقتضيها جميعاً⁽¹⁾.

معنى الفاء في ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾:

(الفاء) في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ عاطفةٌ تفيدُ التَّرتيبَ، والتَّقديرَ: (وهذا ذِكْرٌ مباركٌ أفأنتم له مُنْكَرُونَ)⁽²⁾، فالفاءُ رَتَّبَتِ الاستفهامَ الدَّالَّ على استنكارِ الواقع - وهو عدمُ الإيمانِ في الوقتِ الذي كان يجبُ الإيمانَ به - على الحقيقة الثَّابتة للقرآن، وهي كونه ذِكْرًا مباركًا، أي: يترتَّبُ على هذه الحقيقة سؤالهم أأنتم له مُنْكَرُونَ⁽³⁾.

وهذا التَّرتيبُ يشيرُ إلى قُبْحِ إنكارهم، وأنَّه جريمةٌ عقليةٌ، وهو جحودٌ بما قامَ الدَّليلُ عليه من التَّوْحِيدِ وإعجازِ القرآن.

عَوْدُ الضَّمِيرِ ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾:

الضَّمِيرُ ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾؛ قد يكونُ خطابًا للمشرَكين، وفيه تهديدٌ لهم، وتعريضٌ باليهود، أي: أفأنتم منكرون لهذا الذِّكْرِ، غيرُ آخذين بهديِهِ، كما هو الشَّأنُ عند اليهودِ مع كتابهم؟ وقد يكونُ الخطابُ لليهودِ، والمعنى: أفأنتم منكرون لهذا الكتابِ، كما ينكره هؤلاءُ المشركون، وقد عرفتم وجهَهُ بما عندكم من كتابِ اللَّهِ الذي في أيديكم⁽⁴⁾.

وَجْهٌ إظهار الضَّمِيرِ ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ وتقديمه:

أظهرَ البيانُ القرآني الضَّمِيرَ ﴿أَفَأَنْتُمْ﴾ سواءً أكانَ عائداً إلى المشركين أم إلى اليهود، وقدمَهُ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ

كَوْنُ الْقُرْآنِ ذِكْرًا
مَبَارَكًا يَسْتَوْجِبُ
الْإِنْكَارَ عَلَى مَنْ
يُنْكَرُهُ

الخطاب
بالضمير
بين التهديد
والتعريض على
إنكار القرآن

استحقاق
للمشركين
للتوبيخ
لمعرفتهم ببلاغة
الكتاب المنزل
بإلغائهم

(1) الطَّعْنِي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 372.

(2) قُدمَتِ الهمزة لأن من خصائصها تقديمها على العاطف تنبيها على أصالتها في التصدير، السيوطي، الإتيان: 2 / 168.

(3) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 9 / 4880.

(4) الخطيب، التفسير القرآني للقرآن: 9 / 911.

مُنْكَرُونَ»، فلم يقل: (أفَيْتَكِر)؛ مبالغةً في توبيخهم؛ لكونِ هذا التقديم والإظهار جعلَ الجملةَ اسميَّةً، بما يدلُّ على ثباتِ هذا الوصفِ فيهم، ولأنَّهم لما كانوا عارفينَ ببلاغةِ القرآن كان إنكارهم أشنعَ من إنكارِ غيرهم، فكأنَّ الإنكارَ منحصرٌ فيهم⁽¹⁾، ولهذا فسَّرها الطَّبْرِيُّ بقوله: "أفأنتم أيُّها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه على مُحَمَّدٍ مُنْكَرُونَ"⁽²⁾.

بلاغةٌ تقديم شبه الجملة ﴿لَهُ﴾ على الخبر:

قدَّم القرآنُ شبهَ الجملةِ ﴿لَهُ﴾ على الخبر ﴿مُنْكَرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾؛ لأنَّ له خصوصيَّةً في قبحِ الإنكار، ولذا سُرِّعَ به فقُدِّم؛ لأنَّ الإنكارَ من حيث إنَّه إنكارٌ قد يُستحسنُ إنَّ كان لشيءٍ ضارًّا، أمَّا إيقاعُه على القرآن المُكْنَى عنه بالهاء في ﴿لَهُ﴾ فهذا هو مُنْكَرُ المنكرات⁽³⁾، ومِنَ المفسِّرين مَنْ رأى في التقديمِ حصرًا، أي: حصرَ إنكارهم للقرآن؛ لأنَّهم معترفونَ بغيره ممَّا في أيدي أهلِ الكتاب⁽⁴⁾؛ وذلك مبالغةٌ في تقريعهم وتوبيخهم المتحقِّق من الاستفهام، والمعنى: أفأنتم للقرآنِ خاصَّةً دون كتابِ اليهود تُنْكَرُونَ؟ فإنَّهم كانوا يراجعون اليهودَ فيما ظهرَ لهم من المُشكلات⁽⁵⁾، وفيه دلالةٌ على عظيمِ حُقمِهم وكِبَرِهم، فضلًا عن أنَّ في التَّقديمِ إحكامًا وجمالًا في المعنى⁽⁶⁾.

سرُّ التعبيرِ باسمِ الفاعلِ المجموعِ ﴿مُنْكَرُونَ﴾:

عبَّر النصُّ القرآنيُّ باسمِ الفاعلِ ﴿مُنْكَرُونَ﴾ في قوله تعالى:

البحوثُ والإنكارُ
لِلقرآنِ صفةٌ
ثابتةٌ ومستمرَّةٌ
في الكفارِ

(1) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 535 / 12.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 454 / 18.

(3) الطُّغَيْي، التفسير البلاغي للاستفهام، ص: 373.

(4) الخَفَاجِي، عناية القاصي: 257 / 6.

(5) سَيِّد طنطاوي، التفسير الوسيط: 219 / 9.

(6) القونوي وابن التمجيد، حاشيتان على تفسير البيضاوي: 535 / 12، والخَفَاجِي، عناية القاصي:

﴿أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾ دون صيغة الفعل، فلم يقل: (أفأنتم له تُنْكِرُونَ)؛ للدلالة على المبالغة في بيان ثبات صفة الجحود والإنكار للقرآن فيهم، واستمرارها منهم، والتعبير بصيغة الجمع هي حديث عن جماعة المتقين من قوم موسى وخطاب لجماعة المشركين من قوم النبي ﷺ، وللإشارة إلى كثرة المنكرين الجاحدين لرسالة النبي ﷺ، ولمعجزة القرآن.

دلالة التعبير بالجملة الاسمية:

حال الكافرين
ثابتة على جحود
صدق القرآن
وقت الخطاب

عبر النص القرآني عن توبيخ الكافرين وتقريعهم لإنكارهم صدق القرآن - وهم أدرى الناس ببلاغته - بالجملة الاسمية دون الفعلية: لأمرين:

الأول: لِيَتَأَتَى جَعْلُ الْمُسْنَدِ اسْمًا دَالًّا عَلَى الْإِتِّصَافِ فِي زَمَنِ الْحَالِ؛ لكون إنكارهم حاصلًا منهم في حال الخطاب، والثاني: لَجَعْلِ الْجُمْلَةِ دَالَّةً عَلَى الثَّبَاتِ فِي الْوَصْفِ⁽¹⁾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 91 / 17.

عنوان الكتاب:

موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثالث والثلاثون،
سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

*

التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة

سنة الطبع: 1446 هـ - 2024 م

© حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي

الطبعة الأولى: 2024 م

*

الفهرسة الوصفية أثناء النشر:

مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366

م. ق. ت

التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغامي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة: منشورات القاسمي، 2024.

مج. 33، 804 صفحة؛ 24x17 سم.

ردمك: 978-9948-732-75-4

يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.

مج. 33: المجلد الثالث والثلاثون، سورة طه من الآية 132 إلى سورة الأنبياء الآية 88.

1-القرآن - تفاسير نحوية 2-القرآن، بديع 3-القرآن، بلاغة 4-القرآن - سور وآيات 5-القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي: 978-9948-732-75-4

*

إذن طباعة رقم: MC-03-01-1130605 بتاريخ 2024/11/15م،

مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة

*

الفئة العمرية: E

«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»

*

الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE

الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»